صورة الأنا والآخر في رواية "الملكة" لأمين الزاوي

د. شريّط سنوسي
كلية الآداب واللغات
جامعة معسكر/الجزائر

تاريخ الإرسال: **2020/03/01**	تاريخ القبول: 2020-12-20

ملخص:

تعتبر ثنائية الأنا والآخر من أبرز القضايا التي اهتم بها الأدباء والنقاد في مجمل إبداعاتهم، سواء كانت روائية أو نقدية. باعتبارها قضية إشكالية تعكس مدى التأثير والتأثر الذي أحدثته الأنا في الآخر من جهة، والآخر في الأنا من جهة ثانية.

انطلاقاً من هذا التصور الإشكالي، أردنا ضمن هذه الدراسة أن نتطرّق إلى استعراض صورة الأنا والآخر في رواية "الملكة" للأديب أمين الزاوي، خصوصاً وأن هذا الأخير قدّم طرحاً جديداً لهذه الموضوعة، وذلك عندما ركّز على وجود الآخر(الأسيوي ممثلاً في الرجل الصيني) في رحاب الأنا(الجزائر) في إطار مهني، إذ تناول العمالة الصينية في الجزائر، هادفاً بذلك التركيز على العلاقة العاطفية التي تشكّلت بين الرجل الصيني(البطل يو تزو صن=يونس) والفتاة الجزائرية(سكورا آيت صالح). ومن خلال هذه العلاقة دعا الروائي في روايته إلى وجوب الحوار الحضاري والتعايش مع الآخر.

الكلمات المفتاحية: الأنا ؛ الآخر ؛ الصورة، الرواية ؛ الشخصية ؛ الجدل ؛ الصراع ؛ الإشكال ؛ السرد ؛ الفعل.

Abstract:

The dualism of the ego and the other are among the most prominent issues that writers and critics have taken care of in all their creations, be they novel or critical. As

a problematic issue that reflects the extent of influence and impact the ego has on the other side, and the ego on the other.

Based on this problematic perception, we wanted within this study to address a review of the image of the ego and the other in the novel "The Queen" by the writer Amin Al-Zawy, especially since the latter made a new presentation of this topic, when he focused on the presence of the other (the Asian represented in the Chinese man) in Rehab al-Ina (Algeria) in a professional setting, as he approached Chinese workers in Algeria, aiming to focus on the emotional relationship that formed between the Chinese man (the hero Yu Tzu Sun = Younis) and the Algerian girl (Skoura Ait Saleh). Through this relationship, the novelist called in his novel the necessity of civilized dialogue and coexistence with the other.

البحث:

استهلال:

ينفرد الروائي أمين الزاوي بخاصية جوهرية في الكتابة السردية الجزائرية، فهو يكتب بلغتين مختلفتين: العربية والفرنسية، ومن ثم، فهو وَفِيٌّ لقرائه بهاتين اللغتين. فمثلما يتوجه إلى قرائه بالعربية لإمتاعهم بمجموعة من السرود المنفتحة على عوالم الحياة الاجتماعية في ثالوثها الأساسي(السياسة، الدين، الجنس) باعتباره يحبذ معالجة هذه القضايا المثيرة والمسكوت عنها، محاولاً بذلك إثارة الأسئلة الجوهرية المرتبطة بهذه القضايا. فهو يتوجه أيضاً إلى قرائه باللغة الفرنسية لصَوْغِ أسئلة محورية في تفكير هذه الفئة، والمتعلّقة هي الأخرى بالحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية. يقول أحمد المديني:"أحسب أن أمين الزاوي، بتنقله بين بيئته الجزائرية والمشرقية، وفي تنازعه بين ثقافتين: عربية وغربية، وتذوقه لهما تعلماً ولغةً (أعني الفرنسية تحديداً)، إضافة إلى تشبعه الواضح بالحساسية المحلية، من تقاليد ومحكيات

وثقافة شعبية عموماً غذت موهبة لا تنكر، أنضجت فيه الاستعداد لإعادة صَوْغِ هذه الحساسية بأدوات السرد الحديث، وتوفير أكثر من قالب لاستيعاب ما ينضوي تحتها من تيمات ونماذج وطقوس، ورموز وعلامات تتجاوز فيها وتتعانق سحرية الموروث والثقافة الشعبية، ومكوّنات واقع مضطرم بأزمات الأفراد والجماعات"[1].

بإطلالة تمعنية في تجربة هذا الأديب، نلحظ أن مسيرته الإبداعية ثرية بالتراكم الروائي الذي خلّفه لحد الآن، فقد كتب العديد من الروايات، سواء بالعربية أو الفرنسية. فالنصوص الروائية المكتوبة بالعربية نجد منها: صهيل الجسد(1985)، السماء الثامنة(1994)، رائحة الأنثى(2000)، وحشة اليمامة(2002)، الرعشة(2005)، يصحو الحرير(2007)، الخنوع(2008)، الغزوة(2008)، شارع إبليس(2012)، حادي التيوس(2012)، ..لها سر النحلة(2012)، نزهة الخاطر(2013)، الملكة(2014)، قبل الحب بقليل(2015)، الساق فوق الساق(في ثبوت هلال العشاق)2016، الخلاّن(2018). أما النصوص باللغة الفرنسية، فنجد منها:

-la chambre de la vierge impure(2009).

-haras des femmes(2001).

-Les gens du parfum.

-Le miel de la sieste(2014).

1.أحمد المديني: تحوّلات النوع في الرواية العربية بين مشرق ومغرب، منشورات دار الأمان، الرباط(المغرب)، ط2012/01 ص101،102.

-L’enfant de l’œuf(2017).

فمثلما نلاحظ، فإن هذا التعدد في الروايات ينمّ عن مقدرة الأديب أمين الزاوي على التنويع في الممارسة الإبداعية من خلال المزاوجة في لغة الكتابة بين العربية والفرنسية، مما يجعل هذه التجربة الروائية غنية بثراء موضوعاتها وأساليب الكتابة المتبعة من قبل مؤلّفها. يقول الناقد عبد الله أبو هيف:"ألّف أمين الزاوي روايات عديدة باللغتين العربية والفرنسية منذ عام1985، وتتشكل سرديتها في غالبيتها، على تميز العتبات النصية، ولاسيما العنوانات، والمفاتيح والمرجعيات، والاسترجاعات، والحوارات الداخلية والمتناصات"[1]. أما بالنسبة لموضوعة الأنا في علاقتها بالآخر، فنجد أمين الزاوي أول روائي جزائري يطرح هذه العلاقة بمنظار جديد (من حيث الرؤية الفكرية/وأسلوب الكتابة)، إذ يرصد في روايته "الملكة" علاقة الآخر الأسيوي في رحاب/ضيافة الأنا الجزائرية (أي رحلة عكسية للآخر نحو الأنا) من خلال بطلها الذي جاء إلى الجزائر في إطار بعثة عمالية لإنجاز مشروع بناء سكنات بالجزائر العاصمة، وخلال تواجده يتعرّف على فتاة جزائرية ويقيم معها علاقة عاطفية.

فأمين الزاوي في هذه التجربة يخرج عن النمط الذي عرفته هذه العلاقة الملتبسة، والتي اتخذت شكلاً واحداً في التجربة الروائية الجزائرية، حيث يبقى الآخر الفرنسي هو النموذج المهيمن في بعض النصوص الروائية الجزائرية على غرار:(ما لا تذروه الرياح)

1.عبد الله أبوهيف: الإبداع السردي الجزائري، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر2007 ص275.

لمحمد العالي عرعار، و(اللاز) للطاهر وطار، و(ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي، و(المرفوضون) لإبراهيم سعدي، و(كتاب الأمير) لواسيني الأعرج...

لكن أمين الزاوي خرج عن هذا النموذج النمطي، واقترح أنموذجاً جديداً لموضوعة الأنا في علاقتها بالآخر، حيث يتخذ من الآخر الأسيوي (الرجل الصيني) أنموذجاً لتصويره ضمن رحلة مهنية (بناء سكنات) إلى الجزائر. إذ يقوم بسرد قصة هذا الرجل الصيني في الجزائر العاصمة، مركّزاً على علاقته العاطفية بالفتاة الجزائرية "سكورا آيت صالح".

رواية "الملكة" والآخر الأسيوي:

تعدّ رواية "الملكة" نصاً سردياً يقف عند تخوم تجربة عاطفية تجمع بين رجل صيني(يو تزو صن=يونس)، وامرأة جزائرية مطلّقة (سكورا آيت صالح)، تنشأ بينهما قصة حب مثيرة. "وقد جعلت قصة الحب هاته من الموضوع الفكري المعالج، موضوعاً مثيراً ومغرياً، أكثر مما لو ضمته موضوعات أخرى من فصيلة مناقضة. لقد شكّلت قصة الحب بنزيناً يشعل التفاصيل الأخرى، ويلهب فتيلها"[1]. أراد من خلالها المؤلّف أن يعالج مسألة العمالة الصينية في الجزائر. والتي ازدادت أعدادهم بشكل كبير، وانتشرت بشكل واسع في معظم المدن الجزائرية، حتى بات هؤلاء العمال يشكّلون تعداداً هائلاً (وصل عددهم حوالي ثلاثمائة ألف مثلما جاء في الرواية).

1.إبراهيم الحجري: الرواية العربية الجديدة (السرد وتشكل القيم)، منشورات النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق(سوريا)، ط2014/01 ص.335.

ومن ثم، فإن الرواية تنفتح على تيمة الآخر في ضيافة الأنا، ورصد صورتها وتتبع سلوكاتها وردود أفعالها من جهة، ومن جهة ثانية تجسيد نظرة الأنا إلى الآخر، خاصة بعد قصة العلاقة العاطفية التي تشكّلت بين الصيني والجزائرية، وهي علاقة ذات معاني ودلالات عميقة، حيث أصبح الأسيوي له مكانة كبيرة في شمال إفريقيا، لكونه يحمل صبغة ذات صلة بالعمل والاستثمار في الدول العربية بشكل خاص. يقول البطل "يو تزو صن": "عندنا في الصين عبارة تتكرر بشهية هذه السنوات الأخيرة، يرددها الصينيون بجميع لغاتهم المحلية التي تبلغ السبعة وهي:"أطلب المال والعمل ولو في أدغال إفريقيا"[1].

على هذا الأساس، راح أمين الزاوي يُشرِّح هذه العلاقة الجديدة، ويرصد مكانة الرجل الأسيوي في الجزائر لكونه يمثّل خاصية مهمة بالنسبة للمجتمع الجزائري، باعتباره يسهم في تطوره وازدهاره وتقدمه، خاصة على مستوى البنية التحتية من خلال بناء السكنات العملاقة (ناطحات السحاب)، والمستشفيات، والجامعات، والمدارس والإدارات.. وغيرها من المشاريع الحيوية الهامة في المجتمع.

والمثير في رواية (الملكة) هو النظرة الجديدة، أو الطرح الجديد الذي أراده الكاتب من خلال روايته، وهو التطرق إلى وجود العمالة الصينية في الجزائر بتعداد هائل وكبير من ناحية، وإلى موضوعة الحب والعلاقات العاطفية للرجل الصيني مع المرأة الجزائرية، وكيف يتقبلها الرجل الجزائري من ناحية أخرى.

1.أمين الزاوي: الملكة(الفاتنة تقبّل التنين على فمه)، منشورات ضفاف(لبنان)، منشورات الاختلاف(الجزائر)، ط01/ 2015 ص.11.

ومن ثم، فإن رواية أمين الزاوي تعيد تشكيل العلاقة بين الأنا والآخر في رحاب بلد الجزائر، والانفتاح على ردود أفعال الجزائريين إلى الرجل الصيني الذي تَقَبَّلَوه على كونه عاملاً ماهراً في أوراش البناء وغيرها من المهام الشاقة التي تعتمد على المهارات والإتقان والسرعة في التنفيذ. وهذا ما يتميز به الرجل الصيني. لكن لم يتقبّلوه عندما بدأ يدخل ضمن اهتمام المرأة الجزائرية. فمن غير الممكن أن يكون حبيباً أو زوجاً أو عاشقاً للفتاة الجزائرية في منظور الرجل الجزائري. هذا ما نستخلصه من ردود أفعال الجزائريين في الرواية:

"قال آخر:"الصينيون يخطفون جميلاتنا، آه يا دين الرب، أين هي الرجولة؟ !"[1].

"تناولت حقيبتها، قبلتني على وجنتي، نزلت السلم درجة درجة، سمعت أصواتاً تشتم في الشارع:

-القحبة، لم تجد رجلاً جزائرياً فحلاً لتختلي بقط صيني، قلة الرجال !

قال شاب آخر، وهو يتابعها وهي تهم بالخروج من العمارة:

-جزائرية تختلي بصيني يأكل لحم الكلاب، والله تستحق الرجم في الشارع.

-هذا زمن البغلة التي تلد، والشمس التي تطلع من المغرب، والصيني الذي ينام في فراش الجزائرية.

راقبتها من النافذة، حين انزلقت داخل سيارتها وانطلقت، سقطت حجرة كبيرة على زجاج الضوء الخلفي

1.المصدر السابق، ص.68

للسيارة، سمعته قد تكسر.."[1].

من خلال هذه الردود القاسية والمعاتبة لما قامت به "سكورا"، ندرك بأن الارتباط بالآخر (خاصة الأسيوي باعتباره مغايراً عن الأوروبي) تعتبر جريمة بالنسبة للمرأة الجزائرية، لذلك كانت العلاقة بين الرجل الصيني والفتاة الجزائرية علاقة مذمومة وغير مُرحَّب بها من قبل الجزائريين عموماً وعائلة الفتاة على وجه الخصوص. ففي مفتتح الرواية نجد البطلة "سكورا" تحكي عن قصتها مع الرجل الصيني "يو تزو صن" أو "الشنوي"(أو يونس)كما سمّى نفسه بعد مجيئه إلى الجزائر:

"سنون مرت، اكتملت الحكاية أو كادت، حكاية الغريب تبدأ، لا تنتهي أبداً، لذا قررتُ أن أحكي لكم عن قصة الغريب الذي دق قلبي دون أن ينسى أو يتنازل عن غرابته التي تثير سخط الكثيرين من حولي، غضبهم مني، خصامهم معي: أمي وأبي، والجارة التي تحلم أن تحج العام القادم....حتى السيد قاسي الذي أحببته حد العشق، غضب السيد قاسي من غيرته، والسيد قاسي هذا هو والد زوجي الأول"[2].

فمن بداية الرواية نلمح أن علاقة الأنا بالآخر جاءت تحمل صفتين:

الأولى: تمثّلها البطلة مع البطل، إذ ترصد لنا الرواية علاقة الحب التي تشكلت بينهما. وهي علاقة تناغم وانسجام وعشق وغرام وجنس.

الثانية: يمثّلها المحيط الداخلي للبطلة بما في ذلك الوالدان والجيران وبقية سكان العاصمة. وهذه العلاقة كانت سلبية تنمّ عن كره وازدراء والحط من قيمة الصينيين،

1.المصدر السابق، ص106.
2.المصدر السابق، ص08.

باعتبارهم يحملون صفات مذمومة من طرف الجزائريين، فهم يتناولون لحوم الكلاب والقطط والعديد من الحيوانات. وبالتالي لاحظنا طبيعة هذه العلاقة أنها جاءت بصورة غير إيجابية عن الرجل الصيني الذي كثيراً ما وُصف بالقط من قبل الجزائريين. وانطلاقاً من هاتين الصورتين، ندرك أن الروائي أراد أن "يسلّط الضوء على معاناة الآخر الأسيوي.....وبذلك يتجاوز الروائي الأفكار والأوهام المسبقة التي تُشوِّه(الأنا)، فيفضح أولئك الذين يستعلون على الآخر ويقصونه، وبذلك مارس عبر إبداعه الروائي نوعاً من النقد الذاتي، لنبذ الكراهية وبناء جسور التفاهم والمحبة بين الأنا والآخر"[1].

العتبات النصية للرواية:

تعتبر العتبات بمثابة النصوص الموازية للنص الروائي الأصلي أو الجوهري (الرواية في حدّ ذاتها)، فهي تلعب دور الشروحات التي تقدّمها أو تقرّبها من النص بالنسبة للقارئ حتى يستطيع استيعاب وفهم أحداث الرواية. يقول الباحث عبد الرزاق بلال:"فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها فكذلك لا يمكننا الدخول في عالم المتن قبل المرور بعتباته، لأنها تقوم، من بين ما تقوم به، بدور الوشاية والبوح. ومن شأن هذه الوظيفة أن تساعد في ضمان قراءة سليمة للكتاب. وفي غيابها قد تعتري المتن بعض التشويشات"[2].

1.ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر(نماذج روائية عربية)، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت2013 ص49.

1.عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النص(دراسة في مقدمات النقد العربي القديم)، منشورات إفريقيا الشرق، الدار البيضاء(المغرب)، بيروت(لبنان)2000 ص23،.24

فالعتبات هي فاتحة النصوص السردية، إذ من خلالها نتمكن من الولوج إلى هذه النصوص قراءة وشرحاً وتحليلاً وفهماً واستيعاباً. فهي إضافة إلى ذلك، تفضي إلى فهم النص وتداخلاته وتعالقاته ضمن منظوراته الداخلية الباعثة للمعاني والدلالات والرؤى والأفكار، بمعزل عن مقاصد المؤلّف في تصريحاته الخارجية عن النص المكتوب أو المقروء"[1]. ومن خلالها يمكننا التقرب من مضامين النصوص لمعرفة مقاصدها وغاياتها وأهدافها.

1/عتبة العنوان:

آثر الروائي أمين الزاوي أن يعطي روايته عنوان:(الملكة)، فالاسم يحمل صفة التحرر والمسؤولية والتعالي وإسداء الأوامر بوصف صاحبه(ملكاً/ ملكة) هو الآمر الناهي. وكما هو معلوم، فإن صفة الملكة مرتبطة بالسلطة/القصر، أي نظام الحكم. وهذا الاسم يعود على بطلة الرواية(الفتاة "سكورا" الجزائرية). فحتى البطل(يو تزو صن=يونس) اعتبرها ملكة، نظراً لجمالها الجذاب وصوتها الجميل وجسدها الممتلئ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا العنوان له دلالة واضحة ضمن تصور المرأة الجزائرية التي تعدّ ملكة في اختياراتها(داخل فضاء الرواية)، فهي ليست مجبرة على تبرير اختياراتها، وليست مجبرة على أخذ آراء البعض من أجل استشارتهم في خصوصياتها وفي علاقاتها بالأشخاص، خاصة ما تعلّق بالحب أو الزواج. كما تضمّنت الرواية عنواناً فرعياً يتمثل في الجملة الآتية:(الفاتنة تقبّل التنين على فمه)، فهذا العنوان يحيل على علاقة عاطفية مثيرة بين المرأة الجزائرية الفاتنة مثلما وصفها الكاتب وهي تقبِّل التنين، أي الرجل العملاق، وهو الرجل الصيني على فمه، وهي رمزية تحيل على تيمة

2.عبد الله أبوهيف: الإبداع السردي الجزائري(مرجع سابق)، ص271.

الجنس أيضاً. فهي غدت بالنسبة إليه ملكة يريد تملكها من خلال ربط علاقة عاطفية معها.

2/عتبة التقديم:

يقابلنا في مفتتح الرواية نص صغير سمي ب:(مفتاح). وهو فعلاً مفتاح الرواية، لكونه ينير حقيقة القصة أو الحكاية التي تتضمّنها الرواية من حيث حقيقتها أو تخييلها(أي نسبة واقعيتها وحقيقة وقوع أحداثها). فالروائي أمين الزاوي يشرح في البداية أن جزءاً من أحداث الرواية هي حقيقية، استمع إليها الكاتب إلى أحد أقارب البطل عندما سافر إلى شنغهاي، ثم إلى بكين عاصمة الصين سنة2008، وعندما عاد إلى الجزائر قام بتشكيل الحكاية كاملة لقصة بطل الرواية. يقول المؤلّف في بداية الرواية:

"شَرعتُ في كتابة هذه الرواية وأنا بشنغهاي التي وصلتها ربيع2008، ثم ببكين لاحقاً. في هاتين المدينتين روى لي أحد أقارب بطل هذه الحكاية، وحين رجعت إلى مدينة الجزائر استكملت بقية أطرافها، لكن على طريقتي الخاصة"[1]. أي أن الرواية تجمع بين الحقيقة والتخييل. وبالتالي فإن هذه الرواية تخرج عن الروايات السابقة المتعلّقة بإشكالية الأنا والآخر من حيث التشكيل والمعالجة لهذه الموضوعة على غرار: "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، و"الحي اللاتيني" لسهيل إدريس، و"قنديل أم هاشم" ليحي حقي، و"موسم الهجرة إلى الشمال" للطيب صالح....فالكاتب أمين الزاوي عمد في روايته إلى "تناول آخر جديد، آخر أسيوي يختلف عن الآخر الغربي

1.أمين الزاوي: الملكة(مصدر سابق)، ص.05

الأوروبي الذي تعاطت معه الرواية العربية منذ رحلة نشوئها"[1]. هادفاً بذلك إلى إعادة تمثل موضوعة الأنا وعلاقتها بالآخر من منظار جديد ومعاصر من خلال الاتكاء على تبيان خصوصية العلاقة القائمة بينهما. يقول الناقد صلاح صالح في هذا الشأن:"والرواية العربية المعاصرة توجهت بشكل- بدا تلقائياً-إلى المواضيع الأكثر سخونة وتوتراً في المفاصل التي يبتدئ منها وعبرها ما يجعل الآخر آخر، وما من شك في أن كلّ سرد يعني بالضرورة سرداً للآخر....وسردت "آخرها" بشكل مميز من الناحيتين الفنية والفكرية، أي المواضيع الأكثر سخونة كما سبقت الإشارة، والمواضيع التي يلتبس فيها مفهوم الآخرية بمفاهيم الذات، أو يشكّل خطورة عليها، أو سعياً إلى قهرها وإلغائها، ويتمتع تناولها بالعمق وثراء الدلالات"[2]. وهذا ما يتجلّى بشكل واضح في رواية أمين الزاوي.

إنّ رواية(الملكة) تتطرّق إلى تجربة الرجل الصيني في الجزائر، أي تنفتح على وجود الآخر في فضاء الأنا، وهي -كما قلت سابقاً- تجربة جديدة تعكس نظرة جديدة أيضاً إلى علاقة الشرق بالغرب، وترصد كذلك ضمن هذه العلاقة طرفاً جديداً وهو الآخر الأسيوي الذي بدأت الرواية العربية المعاصرة الانفتاح عليه من خلال تجسيده ضمن الفضاء الروائي عن طريق جعله مهاجراً إلى بلاد الأنا(البلدان العربية).

2.سليمة لوكام: الآخر في الثقافة والأدب(حضور واستحضار)، دار سحر للنشر، تونس2017 ص.110

1.صلاح صالح: سرد الآخر (الأنا والآخر عبر اللغة السردية)، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء(المغرب)، بيروت(لبنان)، ط2003/01 ص.11

علاقة الأنا بالآخر في رواية "الملكة":

تتحدّد علاقة الأنا بالآخر في رواية(الملكة) من خلال البطلة(سكورا آيت صالح) الفتاة الجزائرية التي تشتغل رئيسة مصلحة الأمن والوقاية والمراسيم والجنائز بمعهد باستور من جهة، والبطل (يو تزو صن=يونس) الرجل الصيني والمكلّف بمشروع إنجاز حي سكني بالجزائر العاصمة، فقد تمّت علاقة التعارف بين البطلين في المعهد، بعد ما تمّ إحضار الرجل الصيني إلى المعهد من قبل الشرطة للتعرف على جثة رجل صيني وُجدَ مذبوحاً في أحد الأحياء السكنية المهجورة(في طور الإنجاز)، ويرجح أنه صديقه(سون با سن) الذي جاء معه ضمن الفريق العمالي. والذي كان يتقاسم معه الغرفة في الحي السكني المؤقت للعمال الصينيين بالجزائر العاصمة.

فانطلاقاً من هذا اللقاء، بدأت علاقة حميمية تتوطد بينهما، تطورت بعد ذلك إلى زيارات لشقة الرجل الصيني، لتتطور بعد ذلك إلى علاقة جنسية أثمرت جنيناً في بطن "سكورا". وهذه العلاقة ما كانت أن تكون على هذا الشكل (أي بين فتاة جزائرية ورجل غريب=صيني) لو لم تكن الفتاة راغبة في إقامتها، فقد كانت منجذبة إلى "يو تزو صن" منذ أن رأته أول مرة في معهد باستور، فأعطته بطاقتها الشخصية لزيارتها بعد ذلك. فمن هنا ندرك أن البطلة كانت على استعداد للدخول في مغامرة حب جديدة مع رجل غريب، بعدما فشلت في تجربتها الأولى مع رجل جزائري تزوجته لتكتشف أنه رجل مثليّ، لتطلب الطلاق منه. فهذه التجربة الفاشلة أثّرت في "سكورا" وجعلتها تجرّب علاقة جديدة مع صنف جديد من الرجال جاء من الصين للعمل في الجزائر:

"هل يمكن لامرأة ولدت بحي العناصر في أعالي العاصمة، أن تعشق رجلاً صينياً جاءت به الأقدار ولهفة رأسمال شركة بناء صينية من ضواحي بكين، ليحط بهذه المدينة التي بدأت ذاكرتها تتشوش شيئاً فشيئاً؟"[1].

إذن العلاقة بينهما كانت علاقة حب، وإعجاب متبادل بينهما، حيث نجد كلّ واحد كان في رحلة اكتشاف الآخر. ومن ثم، فإن ملامح هذه العلاقة تبدو غريبة لكونها تحمل خصوصيات مختلفة جداً بين البطلين. والراوية أرادت الجنوح نحو تشريح ملامح هذه العلاقة، من خلال الانفتاح على كلّ طرف عن طريق تقديمه إلى الطرف الثاني فكراً وسلوكاً ومعاملة وإحساسات ومشاعر وعواطف. حتى تتم مكاشفة كلّ طرف عن طريق الصور الأدبية التي تطرحها/تقدّمها الرواية عبر فصولها وأحداثها المتواترة.

ملامح شخصية الأنا:

تتضح ملامح شخصية الأنا ممثلة في الفتاة "سكورا" بشكل واضح وجلي من خلال الأحداث التي تتواتر ضمن متن الرواية، فتقف هذه الشخصية بملامحها الجزائرية المعبّرة عن الفتاة العربية الحاملة لخصوصياتها وهويتها وشخصيتها ومواقفها الواضحة في شتى مجالات الحياة:

شخصية "سكورا": فتاة جزائرية تعمل رئيسة مصلحة الأمن والوقاية والمراسيم والجنائز بمعهد باستور بالجزائر العاصمة. مطلّقة وأم لطفل واحد. وقعت في حب رجل صيني "يو تزو صن" تعرّفت عليه في معهد باستور عندما جيء به للتعرف على

1.أمين الزاوي: الملكة(المصدر السابق)، ص.10

جثة الرجل الصيني الذي وُجد مذبوحاً في حي سكني في طور الإنجاز. فهذه الشخصية تمثّل المرأة الناقمة على الرجل، بعد علاقة زواج فاشلة، بسبب طبيعة الرجل الجزائري، حينما اكتشفت أن زوجها رجل مثليّ. كما أنها ترمز إلى المرأة المتحررة من ضغوط النظرة الذكورية وسطوة الرجل على آرائها وأفكارها. كما أنها تعبّر بكل وضوح عن المرأة الجزائرية المغَامِرَة التي تريد أن تتحدى المجتمع بأفعالها وسلوكاتها، ضاربة عرض الحائط نظرات وردود أفعال الجزائريين في علاقتها بالرجل الصيني.

ملامح شخصية الآخر:

تبرز لنا ملامح شخصية الآخر من خلال شخصية الرجل الصيني "يو تزو صن" الذي يعبّر عن خصوصيات الرجل الشرقي(الصيني) الحامل لعاداته وتقاليده وفكره وحضاراته مختلفة عن الحضارة العربية والمتشبع أيضاً بثقافته المتمايزة عن الثقافة العربية والأوربية. وانطلاقاً من الأحداث التي ترويها الرواية عبر شخصياتها المختلفة، خاصة البطل "يو تزو صن"، نلمح أن الأخير يحمل ملامح جد مختلفة عن ملامح الرجل الجزائري، سواء على مستوى الجسدي أو الفكري أو النفسي أو السلوكي:

شخصية "يو تزو صن":رجل صيني، مهندس مشرف على إنجاز حي سكني بالجزائر العاصمة، جاء في بعثة مهنية. وقع في حب فتة جزائرية اسمها "سكورا"، وتعلّق بها حتى أنه مارس معها الجنس، مما أدى بالفتاة إلى أن تحبل من هذا الرجل، وهي حاملة في الشهر السابع. إنّ شخصية "يو تزو صن" شخصية ماهرة محبّة للعمل، لا زالت محافظة على تعلّقها ببلدها الصين، ومحافظة على تقاليدها وعاداتها. يحلم أن يكون ابنه الذي ينتظره من "سكورا" رئيساً مستقبلياً للجزائر:

"إنني أفكر بجدية في تأسيس هذا الحزب لأن التوقعات تقول:سيحكم الجزائر رئيس من أصل صيني في الربع الأخير من هذه القرن، وأنا أحلم أن يحظى ابننا بشرف قيادة هذه البلاد العظيمة التي لها ثورة كبيرة، وثروة كبيرة أيضاً"[1]. وبالرغم من أنه اشترى مسكناً بالجزائر العاصمة، إلاّ أنه بقي محافظاً على عادته وتقاليده، إذ راح يؤثّث منزله بكل ما له علاقة ببلده الصين. مما يعطي الانطباع بمدى تعلّق الرجل الأسيوي(الصيني) ببلده وحبه له رغم وجوده بعيداً عنه.

صورة الأنا في مرآة الآخر:

انطلاقاً من الرواية، نلحظ أن صورة الأنا بالنسبة للآخر، لم تكن علاقة تضاد أو كراهية أو ازدراء من قبل الصينيين للجزائر، بل بالعكس كانت علاقة إعجاب بالثورة التحريرية ورجالات الجزائر وشهدائها ومجاهديها. وهذا ما حكاه جار البطل الشيخ "مان فو تونغ"، حيث روى له عظمة الثورة التي قام بها الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، كما حدثّه عن التقائه بأفراد الفرقة المسرحية لجبهة التحرير الوطني الذين زاروا الصين، والتقط معهم صورة تذكارية والتي كان يرأسها مصطفى كاتب:

"من بين جموع الضيوف الذين جاؤوا لتوديعي كان هناك الجار الشيخ مان فو تونغ والذي كنا نطلق عليه اسم "شجرة الخروب".... سحبني جانباً بعيداً عن هرج المجموعة....، ثم بدأ يحدثني عن استقباله لبعض الفنانين وقادة الثورة الجزائرية، كان ذلك شتاء العام1955 وقد مضى عام على انطلاق الثورة التحريرية ضد فرنسا الاستعمارية، وكيف أنه رافق فرقة مسرحية جزائرية تابعة لجبهة التحرير الوطني بقيادة

1.أمين الزاوي: الملكة(المصدر السابق)، ص12.

مسرحي شاب ووسيم اسمه مصطفى كاتب لتقديم عروضها في قاعات ببكين وبعض المدن الأخرى،..."[1].

أما نظرة البطل "يو تزو صن=يونس" فكانت في حقيقتها نظرة جهل عن الجزائر، بسبب قلة معارفه عن هذا البلد الذي كان يخلط بينه وبين نيجيريا والنيجر، كما أنه كان يظن أنه موجود في جنوب إفريقيا، وأنه بلد صحراوي. يقول البطل:

"بعد انتظار دام ثلاث سنوات وبضعة أشهر، تمت الموافقة على سفري إلى الجزائر من قبل السلطات المركزية في بكين كمهندس مشرف على مشروع بناء حي سكني تقوم به شركة صينية خاصة لصالح الدولة الجزائرية. حين وصلني خبر الموافقة شرعت في قراءة بعض ما كتب عن هذا البلد الذي كنت أعتقد أنه موجود في إفريقيا جنوب الصحراء. كنت أخلط ما بين اسم الجزائر ونيجيريا والنيجر، ولم أجد ما يروي عطشي سوى بعض المتناثرات في كتب مختلفة تتناول تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي. وما إن عرفت بأن هذا البلد كان مستعمراً من قبل فرنسا حتى تذكرت ما تعلمته في المدرسة عن معركة ديان بيان فو، والتي خاضها الشعب الفيتنامي ضد فرنسا بدعم من بلدي الصين ومن زعيمها ماو تسي تونغ. فتحت خارطة العالم فوجدت أن الجزائر ليست بعيدة عن فرنسا، بينهما بركة ماء صغيرة، وبدأت أردد كلماتي الفرنسية مزهواً:(Amour ,bien ;merci)"[2].

كان البطل يجهل الجزائر وماضيها وتاريخها، ولما تمت الموافقة على ذهابه إليها، بدأ في القراءة عنها واكتشافها عبر كتب التاريخ والجغرافيا. وهذا ما يدلّ طبعاً أن العديد

1.المصدر السابق، ص26.

1.المصدر السابق، ص24.

من سكان العالم(الأوروبي والأسيوي وأمريكا اللاتينية) يجهلون في الكثير من الأحيان بعض الدول العربية والإفريقية ومنها الجزائر.

ولما سافر البطل "يو تزو صن" إلى الجزائر واستقر بالعاصمة وباشر عمله ضمن ورشة البناء، بدأ يكتشف حقيقة هذا البلد وسكانه. من خلال الاحتكاك بالجزائريين والتعامل معهم. حيث بدأت تتشكل لديه عقلية المواطن الجزائري وسلوكاته وردود أفعاله. فقد اكتشف العديد من الحقائق منها أن الجزائري لا يشتغل، فهو طول النهار في رحلة ذهاب وإياب دون هدف ولا غاية.

وهذه الحقيقة اكتشفها من خلال الازدحام المروري في شوارع العاصمة طيلة أيام الأسبوع. ليخلص إلى القول إن الجزائر العاصمة يَقِلُّ فيها الازدحام في مناسبتين فقط: أثناء مقابلة في كرة القدم بين فريقين عاصميين، وخلال وقت الإفطار في رمضان. كما أنه اكتشف أن الموظف الجزائري غير منضبط في عمله، بدءاً من المدير، إلى رئيس المصلحة، إلى الموظف العادي، إلى الحارس، فكلهم لا يعيرون أي اهتمام للعمل أو الوقت. والمفاجأة الكبيرة التي اكتشفها هو استعمال سيارة الإسعاف من قِبَلِ سائقها كسيارة أجرة لتوصيل المواطنين، وقد ركبها "يو تزو صن" عندما أراد التوجه إلى مخفر الشرطة ملبياً الدعوة التي وُجهت إليه للتحقيق معه حول مقتل صديقه " سون با سن"، ومن خلالها تعرّف على سائقها عبد الرحمن.

إضافة إلى ذلك، توصّل إلى اكتشاف حقائق أخرى، وهي سلوكات الجزائري التي يقوم بها في حياته اليومية، حيث أَلِفَ سلوكاته متناقضة، فهو يستمع إلى الأغاني مثلما يستمع إلى القرآن الكريم دون أن يجد حرجاً في ذلك. فالرجل الصيني اكتشف في الجزائر عالماً غريباً ومتناقضاً بالنسبة لسلوكات أفراده.

صورة الآخر في مرآة الأنا:

شكّل وجود الرجل الصيني في الجزائر استثناء بوصفه شخصاً مثيراً وغريباً، فهو بالنسبة للجزائري شخص عبقري يمتلك عقلاً فريداً وذكياً، استطاع بفضله أن يصل إلى مستوى عال من التطور الازدهار بفضل التكنولوجيا التي اخترعها على مر الأزمنة. كما أنه يمتاز بالمهارة والإتقان والسرعة في تنفيذ العمل، خاصة في مجال البناء، حيث نجد الدولة الجزائرية استعانت بالعمالة الصينية في تنفيذ الكثير من البرامج السكنية والمشاريع المتعلّقة بالجسور والمستشفيات والإدارات. لهذا الغرض نجد أن الصينين منتشرون بأعداد هائلة في الجزائر العاصمة وباقي المدن الأخرى على غرار: وهران، معسكر، تلمسان، مستغانم، عنابة، قسنطينة...وحتى في الجزائر العاصمة ازداد العدد بشكل رهيب، حتى أطلق على الحي الذي تقطنه العمالة الصينية بحي الشناوة (نسبة إلى الصينيين).

ولكن بقدر ما امتاز به الرجل الصيني من تطور على جميع المستويات، بقدر ما كان يُنظر إليه بنظرة استخفاف وازدراء واستصغار من قِبَلِ الجزائريين الذين كانوا يصفونهم بالقطط والكلاب، لكونهم يحبذون أكل هذه الأصناف من الحيوانات. فالرواية مليئة بردود الأفعال اتجاه الصينيين، خاصة عندما يتجوّلون في الشوارع، ويركبون الحافلات. وكانت العينة بانية للعيان بالنسبة للبطل "يو تزو صن" الذي عانى كثيراً من هذه الردود والتعليقات الجارحة أحياناً. وقد كان البطل يفهم كثيراً ما يصدر عنهم، لكونه تعلّم اللهجة الجزائرية واستوعب كلماتها ومعانيها في بداياته الأولى عندما استقر بالجزائر العاصمة. فالرواية "أتاحت للمتلقي أن يطلع على عوالم

مسكوت عنها في المجتمع، حيث عرّت عادات سيئة فيها، يمارسها بعض العرب ضد الآخر الأسيوي..."[1].

لكن في المقابل نجد نظرة الفتاة "سكورا" تتميز بنظرة حب وإعجاب وافتخار بالرجل الصيني. فهي كانت دائماً معجبة ب:يو تزو صن". هذا الرجل الذي يمثّل عينة واحدة من مليار ونصف من العينات الصينية التي تحمل خصوصيات فريدة عن بقية الشعوب. لذلك نجدها تغالي في وصفه، ووصف ملامحه الجسدية إلى حد العشق، ووصف عاداته وتقاليده ومعتقداته وسلوكاته الغريبة وطقوسه واحتفالاته المرتبطة طبعاً بثقافة الشعب الصيني. وهذا ما أراد إثارته أمين الزاوي في هذه الرواية. فقد عمد إلى التعبير عن نظرتين مختلفتين عن الآخر الأسيوي:

النظرة الأولى: نظرة سلبية من قبل الجزائريين، خاصة من جانب العاطفي للرجل الصيني. حيث حاول الروائي إبراز ردود أفعال الجزائريين اتجاه الرجل الصيني.

النظرة الثانية: نظرة إيجابية من طرف الفتاة "سكورا" التي شكّلت الاستثناء الوحيد لدى الجزائريين حول الآخر الصيني. مما يشي بأن الكاتب أراد في روايته انتقاد ردود أفعال الجزائريين حول الرجل الصيني، خاصة عندما تعلّق الأمر بالعواطف والحب.

بمثابة استنتاج:

تعدّ رواية "الملكة" نصاً سردياً انتقادياً لعلاقة الأنا بالآخر، حيث عمد فيها أمين الزاوي إلى تقديم نقد لاذع للمجتمع الجزائري الحامل لأفكار سلبية عن الآخر الصيني من خلال العلاقات العاطفية والجنسية التي ربطها بالمرأة الجزائرية. فقد ركّز الروائي

1.ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر(مصدر سابق)، ص36.

على علاقة الفتاة الجزائرية "سكورا" بالرجل الصيني "يو تزو صن=يونس" اللذين أقاما علاقة عاطفية مثيرة وصلت إلى أقصى درجة في الارتباط ببعضهما البعض، حيث أدّت بهما هذه العلاقة إلى الوقوع في المحظور من خلال ممارسة الجنس.

إنّ هذه الرواية "الصادمة" لمضمونها الانتقادي للفكر والأحكام القبلية عن الآخر الأسيوي بخلاف عن الآخر الأوروبي، تعالج مسألة جوهرية في علاقة الأنا بالآخر، والمتمثلة في تحرير المرأة الجزائرية من العادات والتقاليد التي دأبت عليها سنين طويلة من خلال فكرة التحرر من الأحكام التي كبّلتها، خاصة فيما تعلّق بآرائها وأفكارها نحو مسألة الارتباط العاطفي. فأمين الزاوي أثار بروايته "الملكة" قضية جديدة في علاقة المرأة الجزائرية(الأنا) بالرجل الأسيوي(الآخر) من خلال النزوع نحو تشريح علاقة عاطفية جديدة بالنسبة للمرأة، وهي علاقتها بالرجل الصيني، الذي أَلِفَهُ الجزائري عاملاً ماهراً في أوراش البناء، ورجلاً عالِماً في الفكر والتكنولوجيا ومختلف مظاهر التطور الاجتماعي والاقتصادي. ولم يألفه حبيباً أو عاشقاً أو زوجاً.

من هذا المنظور، نستطيع القول إن رواية "الملكة" تشكّل فضاءً سردياً لتقابل وتقارب الأنا بالآخر عن طريق الجسد، من خلال علاقة الحب والعشق التي تمتّ بين "سكورا" و"يو تزو صن" هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ترصد نظرة الأنا بمختلف أنواعها ومكوّناتها من خلال الفتاة "سكورا" المعنية بهذه العلاقة، وبقية المحيط الاجتماعي القريب للفتاة، بدءاً من أسرتها وجيرانها وبقية أفراد المجتمع الجزائري الساخط على هذه العلاقة. وفي المقابل ترصد نظرة الآخر الأسيوي إلى المرأة الجزائرية وإلى المجتمع الجزائري بشكل عام. إنها فعلاً رواية ممتعة وجادة في مضمونها وشكلها السردي المنفتح على حكاية تجمع بين الحقيقة والتخييل.